المحاضرة السادسة:

الدعوة الجهرية خارج مكة

أولا: الأحداث التاريخية

1.الرسول صلى الله عليه وسلم في الطائف:

في شهر شوال سنة عشر من النبوة خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف[1] يلتمس نصرة (ثقيف)، وكان كلما مرّ على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منها. فلما وصل إلى الطائف التقى نفراً من سادة القوم فدعاهم إلى الله فردّوا عليه بغلظة، فقام عنهم يرجوهم كتمان خبره عن قريش فلم يجيبوه أيضا.

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت رجلاه. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط (بستان) لعتبة وشيبة ابني ربيعة فرجعوا عنه، فعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ظل شجرة عنب وقد أنهكه التعب، فلما جلس إليه واطمأن، دعا بالدعاء المشهور:(**اللهم إليك أشكو ضَعْف قُوَّتِي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُنِي ؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى[2] حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**).

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى مكة حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فبعث الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن قد ذكرهم الله في موضعين من القرآن: في سورة الأحقاف:{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ..} الأحقاف 29 – 31. وفي سورة الجن: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا.. } الجن/ 1إلى 15. ولما اقترب رسول الله صلى الله عليه وسلم من منازل مكة بعث الله إليه جبريل عليه السلام ومعه مَلَك الجبال، يستأمره أن يُطْبق الأخشبين (جبلا مكة) على أهل مكة، فقال: (**بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**). حتى إذا وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث رجلًا من خزاعة إلى مطعم بن عديّ[3] يطلب جواره (حمايته) فاستجاب له، فدخل رسول الله مكة.

2.عرض الإسلام على القبائل والأفراد:

في شهر ذي القعدة (سنة عشر من النبوة) عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستأنف دعوته ويعرض نفسه على القبائل والأفراد. وفي موسم الحج – من سنة 11 من النبوة– بينما هو عند العقبة لقي جماعة من الخزرج، فسألهم: (**من أنتم ؟**)

---

1 الطائف: وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا، سارها ماشيًا على قدميه جيئة وذهوبًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة.

2 العُتْبَى : الرِّضا ، وهو تسليمٌ بالذّنب واعترافٌ بالخطأ إرضاءً لمن يُعاتِب.

3 وكان على الشرك.

قالوا : نفر من الخزرج[1]، قال : (**من موالى يهود ؟**) -أي حلفاؤهم-، قالوا : نعم. قال : (**أفلا تجلسون أكلمكم ؟**) قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن. وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام أن حلفائهم من يهود المدينة كانوا أهل كتاب وعلم، فإذا وقع بينهم عداوة أو قتال، قال لهم اليهود: إن نبيًّا مبعوثا الآن قد قرب زمانه سنتبعه ونقتلكم قتل عاد و إرم . فلما كلم رسول الله هؤلاء النفر وتأكدوا أنه النبي الذي توعدتهم به اليهود قال بعضهم لبعض: "لا تسبقنكم اليهود إليه"، فقبلوا دعوة الاسلام وانصرفوا الى ديارهم على أن يلتقوا برسول الله في الموسم المقبل.

3.**معجزة الإسراء والمعراج:** في هذه الأثناء المترقبة لآفاق جديدة وقعت حادثة الإسراء والمعراج.

و**الإسراء** هو: الرحلة التي أكرم الله ها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس. أما **المعراج:** فهو ما أعقب ذلك من العروج به (الصعود) إلى طبقات السموات العلا، ثم الوصول إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة.

وقد وقعت في هذه الرحلة أحداث عجيبة، ورأى رسول الله من آيات الله الكبرى:

- فقد أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس صحبة جبريل عليه السلام فنزل فصلى بالأنبياء إمامًا.
- ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء الدنيا فرأى آدم عليه السلام فأقر بنبوته، وفي السماء الثانية يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابقة إبراهيم عليه وعلى أنبياء الله السلام.
- ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فدنا من ربه جل في علاه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولا زال يراجعه فيها حتى كتبت خمس صلوات ولها أجر خمسين.

وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل عليه السلام وعلّم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها..

4.بيعة العقبة الأولى:

قد سبق الذكر أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة 11 من النبوة، ووعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ رسالته في قومهم . وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي . (موسم الحج سنة 12 من النبوة) اثنا عشر رجلًا، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السابق.

فقد روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه**) . قال عبادة: فبايعناه على ذلك .

1 وهم: أسعد بن زُرَارة، عوف بن الحارث، رافع بن مالك بن العَجْلان، قُطْبَة بن عامر، عُقْبَة بن عامر، جابر بن عبد الله.

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابًا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مُصْعَب بن عُمَيْر العبدرى رضي الله عنه .

5.بيعة العقبة الثانية:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، التقول رسول الله عند العقبة سرا في جنح الليل. فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم –أولا– فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: (**تبايعونني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة**). فأخذ البراء ابن مَعْرُور بيده ثم قال : نعم، والذي بعثك بالحق نبيًا لنمنعنك مما نمنع أُزُرَنا منه، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الْحَلْقَة، ورثناها كابرًا عن كابر . فاعترض القول – والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم – أبو الهيثم بن التَّيِّهَان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال (يعنى اليهود) حبالًا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (**بل الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الْهَدْمُ، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**). فتمت البيعة العامة بالمصافحة للرجال وكانوا 73 رجلا، أما المرأتان (نسيبة بنت كعب و أسماء بنت عمرو) فكانت بيعتهما قولا.

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختاروا اثنى عشر زعيمًا يكونون نقباء على قومهم، يكفلون المسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة، فقال للقوم : أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا (أي كفيلا أو مسؤولا) ليكونوا على قومهم بما فيهم .فتم اختيارهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

6.إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة:

اشتد البلاء على المسلمين من كفار قريش، فضيقوا عليهم ونالوا منهم بالشتم والأذى لما علموا من أمر الخروج الى يثرب، وقد أذن رسول الله لأصحابه بالهجرة فقال:" قد أُخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها"، فجعل القوم يتجهزون ويخرجون خفية عن أنظار قريش، إلا ما كان من أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تقلّد سيفه وتنكب قوسه وأخذ سيفا بيده وجاء الكعبة وقال: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن يُثكل أمه، أو ولده، أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . فلم يتبعه أحد.

وهكذا تتابع المسلمون في الهجرة الى المدينة حتى لم يبق بمكة منهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي و معذب أو محبوس او مريض أو ضعيف لا يستطيع الخروج.

ثانيا: العبر والعظات (الفوائد):

1. وجوب الصبر والمصابرة في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) آل عمران/ 200
2. من أهم دروس المحن الشديدة: عدم اليأس والكسل مع اللجوء إلى القويّ المتين.

3. الشكوى إلى الله عبادة، (إليك أشكوا ضعف قوتي..)
4. مواساة النبيﷺ – بعد ما لقيه من الأذى والخيبة في الطائف – بأمور:
   - سماع الجنّ للقرآن والإيمان به.
   - نزول جبريل عليه السلام وملك الجبال يستأمر النبي في إهلاك قومه.
   - رحلة الاسراء والمعراج وما فيها من كرامات.
   - قبول وفد الخزرج دعوته عليه الصلاة والسلام.
5. الجن حقيقة ثابتة، وهي مخلوقات مكلفة مثل الإنس بالعبادة.
6. اتفق جمهور العلماء – المتقدين والمتأخرين- على أن الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد معا، في اليقظة، وهذه هي المعجزة التي عارضتها قريش.
7. اختيار الإسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء السابعة دلالة واضحة على مكانة هذا البيت وقدسيته عند الله تعالى، وفيه دلالة – أيضا- على الرابطة المتينة بين محمد وعيسى عليهما السلام وكلّ الأنبياء صلوات الله عليهم.
8. بعد صبر دام احدى عشر سنة (11) بدأت ثمار الجهد والجهاد تظهر في قبول دعوة الإسلام من طرف وفد قريش.
9. احتضنت دعوة الاسلام أيادي غير قرشية، وفي ذلك حكمة مفادها أن لا يُتهم رسول الله ﷺ بأن دعوته قومية دعت إليها ظروف اجتماعية.
10. التزم وفد المدينة في بيعة العقبة الأولى بعدم الإشراك بالله وعدم السرقة والزنا وقتل الأولاد.. ولم يكتفوا بمجرد النطق بالشهادتين، وهذا دليل على أن الإيمان الحقيقي هو ما كان: (نطق باللسان واعتقاد بالجَنان وعمل بالأركان).
11. تحمُّل مصعب بن عمير عبء الدعوة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ بالمدينة وقام بها أحقّ قيام.
12. مشاركة المرأتين في البيعة – الثانية- فيه إشارة إلى دور المرأة الفعّال في الدعوة الإسلامية.
13. مبايعة الرسول ﷺ للنساء قولا دليل على عدم مشروعية مصافحة الرجال للنساء، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ." وَقَالَتْ مَرَّةً أُخْرَى:" مَا صَافَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً قَطُّ".
14. الفرق بين بيعة العقبة الأولى والثانية: أن الثانية كانت أكثر عددا وهذا يدل على اجتهاد وفد البيعة الأولى، ويختلفان أيضا من حيث البنود المنصوص عليها، حيث إن الأولى خالية من الاشارة الى الجهاد بالقوة بخلاف الثانية التي أوجبت الدفاع عن الدعوة بالجهاد في سبيل حمايتها.
15. في هجرة الصحابة أولا يدل على وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.
16. وجوب نصرة المسلمين بعضهم لبعض مهما اختلفت ديارهم وبلدانهم.